

## تمهيد:

منذ أن فتح الشكلايون الروس باب دراسة النصوص السردية، اهتمت الدراسات النظرية والتطبيقية في السرد القصصي والروائي بالشخصية فانصبت على دورها وبنائها، و خير تلك الدراسات ما أنجزه "الجرناس جوليان غريماس" A.J.Greimas " و"كلود بريمون" " C " bremond. و "رومان ياكوبسون" "R.jakobson" " و "تزيغان تودوروف" "t.todorov" و "فيليب هامون" "Ph. hamon"

والملاحظ أن بعض تلك الدراسات قد أصابها الغموض، فلحق بالتصور النظري الكثير من الاضطراب، وفي كثير من الأحيان؛ وذلك لأن الحقل ما زال بكرة تعوزه الدراسات و النظريات الجامعة، وهي في عمومها وجهات نظر و مقاربات قائمة على تعدد المصطلح و تنوع المنهج وأدوات العمل ، ولهذا وجدت النقاد يشيرون للغموض الذي يصاحب مقولة الشخصية. ف"ميشال زيرافا" "M.zérafra" مثلا يقر "أنه من الصعب تحديد تعبير الشخصية الأدبي " (1).

و"فيليب هامون" في مقاله "من أجل قانون سميولوجي للشخصية " يعتبر مسألة صيغ الشخصية من الركائز الأساسية في النقد، فهي مشكلة غامضة و تشكل عائقا لنظرية الأدب قديما أم حديثا، وهذا لأنها قدمت بشكل سيئ من طرف الروائيين و النقاد (2)

وقد نتج عن هذا التعقيم الذي أصاب المصطلح غموض و اضطراب في آراء النقاد ف"ظل مفهوم الشخصية غفلا ولفترة طويلة من كل تحديد دقيق، مما جعلها من أكثر جوانب الشعرية غموضا. " (3)

(1) - عبد الوهاب الرقيق: في السرد دراسات تطبيقية ، دار محمد علي الحامي، تونس، 1998، ص 26

(2) - ينظر: فيليب هامون: سميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد ، تقديم عبد الفتاح كيليطو،

الرباط، 1990، ص 15، 16

(3) - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 207.

و لعل أسباب غموض الشخصية في الرواية التقليدية يرجع إلى النظر إليها كإنسان من واقع الحياة ، ولذلك لم يشأ الكتاب و النقاد البحث نظريا في مقولة الشخصية ، فالشخصية في المفهوم الأرسطي تمثل مصدرا وظلا للحوادث، و الكاتب يهتم بما يفعله الناس في المقام الأول، وتأتي عنايته برسم الطباع باعتبارها تابعة تكشف الأعمال في المقام الثاني (1).

لقد استمر هذا التصور الأرسطي قائما عند الكلاسيكيين؛ لأن العمل الفني محاكاة للحياة بما فيها من سعادة وشقاء، وأن السعادة والشقاء حسبهم تكون بأعمال الشخصية لا بصفاتهما (2).

### الشخصية في الرواية الحديثة :

أخذت الشخصية الروائية في الرواية الحديثة تستقطب عناية الكتاب والنقاد. فلم تعد مصدرا للحدث فقط، بل أصبح وجودها متميزا. فصار السرد يكرس لإظهار الشخصية ف "الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية، ومحور الأفكار و الآراء العامة. ومصدر رسم الواقع." (3) ومن هنا أضحت شائعا في النقد الأدبي أن الرواية الجيدة هي تلك التي يكرس كاتبها جهده للشخصية، فيتقاني في رسمها ليصير وجودها فعليا، بما يصفها به من صفات وطبائع تميزها عن غيرها، فتحيا في العمل الروائي بهويتها المميزة فأساس النثر الجيد هو رسم الشخصيات ولا شيء دون ذلك" (4) .

(1) - ينظر: رشاد رشدي : نظرية الدراما من أرسطو الى الآن ، دار العودة ،بيروت ،الطبعة الثانية

،1975،ص1817

(2) - ينظر: ديفيد ديتنش،مناهج النقد الأدبي،ترجمة محمد يوسف نجم،مراجعة،احسان عباس،دار صادر، بيروت،1967،ص50.

(3) - محمد عيسى هلال: النقد الأدبي الحديث،دار العودة ،بيروت، الطبعة الأولى، 1982،ص562.

(4) - عبد الوهاب الرقيق، في السرد دراسات تطبيقية، مرجع سابق ،ص127.

وفي بداية القرن العشرين أخذ النقاد يدعون للحد من هيمنة الشخصية، وعمل الروائيون على تجسيد ذلك في أعمالهم " فهي مجرد عنصر شكلي وتقني للغة الروائية، مثلها مثل الوصف والسرد والحوار" (1).

والملاحظ أن "طوماتشفسكي Tomachevski" وهو من الدارسين والمنظرين و الشكلايين الروس يفصح صراحة عن إمكانيته الاستغناء عن الشخصية والاكتفاء بالخبر، والقول الذي يصدر عنها "البطل ليس ضروريا للخبر فالقصة من حيث هي نظام وأحداث سردية يمكن أن تستغني عن البطل وعن الصفات التي يتصف بها" (2)، وهذا الرأي يراه أيضا "فلاديمير بروب" Vladimir Propp حيث ذهب في كتاب "بنية الحكاية العجيبة" أن الشخصية تتمظهر من خلال الوظائف التي تقوم بها وهي في الواقع خادمة لتلك الوظائف. فصار الاهتمام بالوظائف أو ما يمكن تسميته بالعوامل .

**وبالنظر** في وجهات النظر تلك التي تتوزع بين اعتداد بالشخصية في الرواية، وبين إقصاء لها ونفي كل سمة إنسانية وشخصية عنها نجد "كلود بريمون" الذي أجاد للشخصية دورها في العمل الروائي، بالنظر إليها كفاعل يؤدي وظيفة سردية، ومن الواجب أن نعرف من يؤدي تلك الوظيفة "الشخصية كما يرى يعود لها الفضل في التعريف بالوظيفة" (3).

وبالنظر في مفهوم الشخصية فإن "الجريداس جوليان غريماس" قد استفاد من آراء سابقه وعرف المصطلح تطورا عظيما يتمثل في انه أسس نظاما عامليا "actant" للشخصيات، والجدير بالذكر أن "غريماس" ميز العامل عن الممثل مما أعطى تصورا جديدا للشخصية المجردة أو الشخصية الاعتبارية أو المعنوية، ولا يفترض أن تكون إنسانا، فقد تكون الشخصية ممثلة بعدة ممثلين. والذي

(1) - عبد المالك مرتاض: نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 240، ديسمبر/1998، ص 104.

(2) - الصادق قسومة: طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، ص 96.

(3) - عبد الوهاب الرقيق، في السرد دراسات تطبيقية، مرجع سابق ص 114.

خلص إليه في تحديد مفهوم الشخصية هو "أن الشخصية الروائية هي نقطة تقاطع والتقاء مستويين سردي وخطابي، فالبنى أو البرامج السردية تصل "الأدوار العاملة" بعضها ببعض وتنظم الحركات والوظائف والأفعال التي تقوم بها الشخصيات في الرواية، بينما تنظم البنى الخطابية، الصفات والمؤهلات التي تحملها هذه الشخصيات"<sup>(1)</sup>. وعلى هذا يتم التمييز بين الشخصية كعامل، وبين مفهومها كمثل وكما يلي:

تأخذ الشخصية كعامل مفهوما شاملا ومجردا، فيركز على الدور الذي تؤديه ولا يلتفت لها كذات. سأستفيد في دراستي للشخصية في هذا الباب بالاعتماد على وجهة نظر "كلود بريمون" و"فيليب هامون" و"الجيرداس جوليان غريماس" في تحديد طبيعة الشخصيات ذلك أنهم اعتمدوا على الباحثين السابقين لهم، مما أوجد علاقة قوية بين آرائهم، كما أن السبب في تبني مقترحات هؤلاء يعود لإمكانية مقارباتهم الهائلة بما تملكه من إجراءات تمكن من الإحاطة بتحليل ودراسة الشخصية الروائية، ولا يفهم من هذا اعتمادا عليها اعتمادا متصلبا، بل سيكون مرنا مسئلتهما لروحها وفق ما تتطلبه الدراسة ويخدم المنهج .

\*\*\*\*

(1) - إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي، منشورات دار الآفاق، الجزائر، الطبعة الأولى، 1999، ص154.